وصيّة سسل رودس

بعد ثلاث سنوات او اربع يصير في مدرسة اكسفرد الجامعة ٢٥٠ تلميذًا من البلدان الانكليزية والولايات الاميركية يدرسون العلوم والفنون معًا كاخوة في بيت واحد يعطى لكلٍّ منهم ثلثمئة جنيه في السنة لينفق منها على نفسهِ وعلى تعليمهِ فجملة ما يعطى لهؤلاء التلامذة خمسة وسبعون الف جنيه في السنة وهي ربع مليوني جنيه او اكثر اوصى بها سسل رودس لتعليم ابناء اللغة الانكليزية وتهذيبهم . اوصى بها الرجل الذي مضى الى جنوبي افريقية منذ ثلاثين سنة فتّى لا يكاد يملك شيئًا فخدمهُ سعدهُ حتى صار من اصحاب الملايين ورأى فائدة العلم في توسيع نطاق العمل وتعميم مدار الفوائد اذا حازهُ مَن يُولد وبهِ ميل فطري الى قيادة الناس وعمل الاعمال الكبيرة فاراد ان يسير شبّان امتهِ في الخطة التي سار فيها واختصر لهم الطريق حتى لا يشطروا ان يسافروا من بلاد الى أُخرى سنة بعد سنة لكي يكتسبوا ما يقوم بنفقات تعليمهم كما كان يفعل هو

والاسلوب الذي اشترط ان يُعمَل بهِ في وصيتهِ يدلُّ على انهُ يعلم حق العلم ما هو الاساس الذي يبنى عليهِ عز الممالك وكيف يكون البلوغ اليهِ فقد اشترط ان لا يُقتصر في اختيار التلامذة على النابغين في الدروس منهم بل اوجب ان يكونوا حائزين للاوصاف التالية : اولاً ان يكونوا عارفين علوم الادب ثانيًا ان يكونوا مولعين بالالعاب الرياضية التي تقوي الجسم كلعب الكرة ونحوهِ . ثالثًا ان يكونوا معروفين بكرم الاخلاق كالصدق والشجاعة والاستبسال في قضاء الواجب والرفق بالضعيف والعطف على المسكين . رابعًا ان يكونوا ميّالين الى القيادة والارشاد لان مَن بدت فيهِ هذه الصفة صغيرًا سهل عليهِ الارتقاء الى المناصب العالية التي يتود فيها غيرهُ

هذه هي الاوصاف التي اشترط وجودها في التلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ اي من ريع الاموال التي اوصى بها لهذه الغاية . وقال انهُ يجب ان لا يُنظَر الى ما بينهم من الفوارق الجنسيَّة والمذهبيَّة فكل شبان الامَّة الانكليزية اهالي انكلترا واخوانهم في اميركا والمستعمرات الانكليزية وكل الذين تجنَّسوا بالجنسيَّة الانكليزية سواء في اختيار التلامذة منهم

ولسسل رودس صديق حميم بين مشاهير الكتَّاب وهو المستر ستد منشئ مجلَّة المجلات الانكليزية وقد انشأ هذا الكاتب مقالة مسهبة منذ نحو ثلاث سنوات في وصف سسل رودس ومذهبهِ السياسي نشرها في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩ ثم اعاد نشرها الآن قائلاً ان سسل رودس اطَّلع عليها ولم يعترض على شيء مما ذُكر فيها لا سرًّا ولا جهرًا فكأنهُ اقرَّ على صحتها

فاعاد المسترستد نشرها الآن وهي مسهبة مفادها ان سسل رودس ينكر صحة الوحي على ما جاء في التوراة ولكنهُ يعتقد بوجود الله او بامكان وجود ولو كان هذا الامكان ٥٠ في المئة وبأن احوال الخلق تدلُّ على ان خالقهُ قصد بهِ ان يرتقي رويدًا رويدًا حتى يسود العدل والسلم والحرية وان من يبذل جهدهُ في اعلاء منار العدل والسلم والحرية في هذه الدنيا يكون قد سعى السعي الذي يرضاهُ الخالق ويسرُّ بهِ وان الامَّة التي تدلُّ الدلائل كلها على انها سائرة في هذا السبيل اي سبيل اعلاء منار العدل والسلم والحرية هي الامَّة الانكليزية كأن العناية الالهية اقامتها لذلك فيجب على كل احد ان يساعدها في عملها ويسعى الى نشر رايتها في الخافقين . وان كبار الماليين من اقدر الناس على ذلك فيجب ان تؤلف عصبة منهم تنفق الاموال الطائلة في هذا السبيل فيرتقي نوع الانسان الارتقاء الذي يقتضيهِ مذهب النشوء ويكون ذلك على مقتضى مشيئة الخالق. وهاك ترجمة ما قالهُ المسترستد عن لسان سسل رودس " اذا كان الله موجودًا وكان لعملي اقل اعتبار في عينيهِ فلا بدَّ من انهُ يريد ان اعمل ما يعملهُ هو . وحيث ان الدلائل كلها تدلُّ على انهُ يدبّر امر الامَّة التي تتكلم اللغة الانكليزية كأنها آلة اختارها لنشر راية العدل والحرية والسلم في الدنيا فالامر واضح انهُ يريد ان ابذل جهدي في مساعدة هذه الامَّة اي ان اوسع الاملاك البريطانية في افريقية بحسب طاقتي واسعى جهدي في كل مكان الى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية "

والظاهر ان الذي اثَّر في نفسهِ اعظم تاثير عبارة اطَّلع عليها وهو في مدرسة اكسفرد من قول ارسطو وهي "الفضيلة اسمى ما تسعى اليهِ النفس التي تطلب الغرض الاسمى في الحياة الكاملة"

وقد شبه المسترستد سسل رودس بلويلاً منشىء الطغمة اليسوعية فقال انهُ وضع نصب عينيهِ حفظ الامَّة الانكليزية ونشر رايتها في الخافقين كما وضع لويلا نصب عينيهِ حفظ الكنيسة الكاثوليكية ونشر تعاليمها في المسكونة

وقد كتب سسل رودس الى المسترستد في اواخر سنة ١٨٩٠ كتابًا مسهبًا وطلب اليهِ ان ينقحهُ وينشرهُ فنشرهُ الآن على علاَّتهِ من غير تنقيح وهاك بعض ما جاء فيهِ

"لا تنسَ ان الآلة التي اصلُ بها الى غرضي كما ابنتهُ لك هو جمعية منشأة على اسلوب جمعية اليسوعيين من حيث نظامها . والاسلوب العملي لاجرائهِ دستور منقول عن دستور الولايات المتحدة الاميركية للاستقلال الاداري الذي اشير بهِ لكل قسم من اقسام البلدان الانكليزية حتى لتوزع ادارتها ولا تبقى محصورة في مجلس النواب لان مجلسًا واحدًا يعجز عن ادارة خمس المسكونة . وان مسألة العمل والعمَّال من المسائل المعضلة التي لا بدَّ من حلها ولكن مسألة

فتح الاسواق للمصنوعات اهم لنا من مسألة العمال لان ريع ما يستعملهُ الانكليز من مصنوعاتهم يقوم بمعيشة ستة ملايين فقط منهم فلا يتعيَّش الباقون الاَّ اذا انتشرت مصنوعاتهم في اقطار المسكونة

"وقد اتحدت الممالك كلها واميركا في مقدمتها على مقاطعتنا بضرب الضرائب على مصنوعاتنا فلا بدَّ لنا من ان نكيل لها بالكيل الذي كالت لنا الى ان ترجع عن غيها واخيرًا تنتهي هذه الحرب باتحادنا مع اميركا فيستتب السلام في العالم كلهِ وتؤلف جمعيَّة مثل جمعية الحزويت اعضاؤها اصحاب الملايين الكثيرة الذين غرضهم ان يعملوا شيئًا كبيرًا في الدنيا وان يخلصوا من الهمّ الذي يتعبهم دوامًا وهو اختيار من يتركون لهُ ثروتهم من اقاربهم الكسالى فيخلصون من هذه المشكلة ويستعملون ثروتهم في ما يسرُّهم ويفيد غيرهم

"هذه هي الامنيَّة التي اقتناها واخاف ان اموت قبل البلوغ اليها كما يخاف مَن اكتشف اكتشافًا ان يموت قبل تحبيله. وقد سمَّيت البلاد الجديدة من الترنسفال الى جنوبي طنجنيكا باسمي لكي ابقى خالدًا بعد موتي فسرَّني ذلك لعلهُ يعرب عن امنيتي التي من شأنها ابطال الحروب كلها في مستقبل الايام ونشر لغة واحدة في كل المسكونة اذ يهتم ارباب الاموال الوافرة وارباب العقول الثاقبة بهذا الغرض

"لو امكننا ان نتحد الآن مع الولايات المتحدة لاستطعنا ان نبطل الحروب من المسكونة ويكون لنا مجلس نواب واحد يجتمع خمس سنوات في وشنطون وخمس سنوات في اميركا ولا يتم هذا الامر الاَّ بجمعية سرية تستولي على موارد الثروة كلها وتستخدمها لهذا الغرض"

والكتاب طويل جدًّا وهو على هذا النسق من بسط الاماني والآراء على صورة مشوشة كأن ذهن كاتبهِ مملوء منها فيعجز عن التعبير عنها لكن غرضهُ ظاهر منها ظهور الشمس من وراء الضباب . وقد توفي كما انبأ من غير ان ينال ما تمنَّى ومن غير ان يرى ما يدل على قرب منالهِ . وكأنهُ ادرك ذلك قبل وفاتهِ فاختار الاسلوب الذي اشار اليهِ في وصيتهِ لكي يعلِّم الوفا من اذكياء العقول وكبار النفوس حتى يحذوا حذوهُ ويسعوا في تحقيق امانيهِ

قال المستر ستد بعد ما نشر هذا الكتاب برمتهِ وعقَّب عليهِ "ان مَثَل سسل رودس في وفاتهِ قبلما تحقق امنيتهُ مَثَل النبي داود اذ كان عازمًا ان يبني الهيكل فاعدَّ لهُ المواد اللازمة وترك بناءهُ لابنهِ فعسى ان يقوم بعد رودس من يحذو حذوهُ ويتم العمل الذي شرع فيهِ"

اما نحن فقد نشرنا ما نشرناهُ من ترجمة هذا الرجل وآرائهِ لا لمجرَّد العلم بها بل ليرى ابناء المشرق سرًّا من اسرار تقدُّم الاوربيين عينا وسبقهم لنا في ميدان الحضارة وهو تنافس ارباب الثروة منهم في ما يعلي شأن امتهم واوطانهم